

تفسير البحر المحيط

@ 380 أي قلوب الكفار في ضلال قد غمرها كما يغمر الماء { مِّنْ هَآذِلَا } أي من هذا العمل الذي وصف به المؤمنون أو من الكتاب الذي لدينا أو من القرآن ، والمعنى من اطراح هذا وتركه أو يشير إلى الذين بجملته أو إلى محمد صلى الله عليه وسلم (أقوال خمسة { وَلَـٰهٖمُ أَـَٰمَالٌ } من دون ذلك أي من دون الغمرة والضلال المحيط بهم ، فالمعنى أنهم ضالون معرضون عن الحق ، وهم مع ذلك لهم سعايات فساد وصفهم تعالى بحالتي شر قال هذا المعنى قتادة وأبو العالية ، وعلى هذا التأويل الإخبار عما سلف من أعمالهم وعما هم فيه . وقيل : الإشارة بذلك إلى قوله { مِّنْ هَآذِلَا } وكأنه قال لهم أعمال من دون الحق ، أو القرآن ونحوه . وقال الحسن ومجاهد : إنما أخبر بقوله { وَلَـٰهٖمُ أَـَٰمَالٌ } عما يستأنف من أعمالهم أي أنهم لهم أعمال من الفساد . وعن ابن عباس { أَـَٰمَالٌ } سيئة دون الشرك . وقال الزمخشري { وَلَـٰهٖمُ أَـَٰمَالٌ } متجاوزة متخطئة لذلك أي لما وصف به المؤمنون هم معتادون وبها ضارون ولا يفتطمون عنها حتى يأخذهم الله بالعذاب و { حَتَّى } هذه هي التي يبتدأ بعدها الكلام ، والكلام الجملة الشرطية انتهى . وقيل الضمير في قوله { بَلَى } يعود إلى المؤمنين المشفقين { هُمْ } في غمرة { من هذا وصف لهم بالحيرة كأنه قيل { وَلَـٰهٖمُ } مع ذلك الخوف والوجل كالمتحيرين في أعمالهم أهي مقبولة أم مردودة } ولهم أعمال من دون ذلك أي من النوافل ووجه البرسوى ما هم عليه ، ويريد بالأعمال الأول الفرائض ، وبالثاني النوافل . .

{ حتى إذا أخذنا مترفيهم } رجوع إلى وصف الكفار قاله أبو مسلم . قال أبو عبد الله الرازي : وهو أولى لأنه إذا أمكن رد الكلام إلى ما اتصل به كان أولى من رده إلى ما بعده خصوصاً وقد رغب المرء في الخير بأن يذكر أن أعمالهم محفوظة كما يحذر بذلك من الشر ، وأن يوصف بشدة فكرة في أمر آخرته بأن قلبه في غمرة ، ويراد أنه قد استولى عليه الفكر في قبوله أو رده وفي أنه هل أداه كما يجب أو قصر فإن قيل : فما المراد بقوله { مِّنْ هَآذِلَا } ؟ قلنا : إشارة إلى إشفاقهم ووجلهم بين استيلاء ذلك على قلوبهم انتهى . وتقدم قول الزمخشري في { حَتَّى } أنها التي يبتدأ بعدها الكلام ، وأنها غاية لما قبلها ، وقد رد ذلك أنهم معتادون لها حتى يأخذهم الله بالعذاب . وقال الحوفي { حَتَّى } غاية وهي عاطفة ، { إِذَا } طرف يضاف إلى ما بعده فيه معنى الشرط { إِذَا } الثانية في موضع جواب الأولى ، ومعنى الكلام عامل في { إِذَا } والتقدير جأروا ، فيكون جأد العامل في { إِذَا } الأولى ، والعامل في الثانية { أَخَذَ } انتهى وهو كلام مخطئ ليس أهلاً أن يرد

وقال ابن عطية و { حَتَّى } حرف ابتداء لا غير ، و { إِذَا } الثانية التي هي جواب
يمنعان من أن تكون حتى غاية لعاملون انتهى . وقال مكى : أي لكفار قريش أعمال من الشر
دون أعمال أهل البر { لَهَا عَامِلُونَ } إلى أن يأخذ أهل النعمة والبطر منهم {
بِالْعَذَابِ إِذَا هُمْ } يصجون ويستغيثون ، والمترفون المنعمون والرؤساء والعذاب
القحط سبع سنين والجوع حين دعا عليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم) فقال : (اللهم اشد
وطأتك على مضر واجعلها عليهم سنين كسني يوسف) فابتلاهم الله بالقحط حتى أكلوا الجيف
والكلاب والعظام المحترقة والقذ والأولاد . وقيل : العذاب قتلهم يوم بدر . وقيل : عذاب
الآخرة ، والظاهر أن الضمير في { إِذَا هُمْ } عائد على { مُتَرَفِّهِمْ } إذ هم المحدث
عنهم صاحوا حين نزل بهم العذاب . وقيل : يعود على الباقيين بعد المعذبين . قال ابن جريج
: المعذبون قتلوا بدر ، والذين { يَجْئَرُونَ } أهل مكة لأنهم ناحوا واستغاثوا . .
{ لَا تَجْئَرُوا الْيَوْمَ } أي يقال لهم إما حقيقة تقول لهم الملائكة ذلك وإما
مجازاً أي لسان الحال يقول ذلك هذا إن كان الذين يجأرون هم المعذبون وعلى قول ابن جريج
ليس القائل الملائكة . وقال قتادة { يَجْئَرُونَ } يصرخون بالتوبة فلا يقبل منهم . وقال
الربيع بن أنس : تجأرون تجزعون ، عبر بالصراخ بالجزع إذ الجزع سبه { إِذْ نَزَّكُمْ مِّنْ
لَّاتُصْرُونَ } أي لا تمنعون من عذابنا أو لا يكون لكم نصر من جهتنا ، فالجوار غير نافع
لكم ولا مجد . .

{ قَدْ كَانَتْ آيَاتِي } هي آيات القرآن { تَنكِصُونَ } ترجعون استعارة للإعراض عن
الحق . وقرأ علي بن أبي طالب { تَنكِصُونَ } بضم الكاف والضمير في { بِهِ } عائد على
المصدر الدال عليه { تَنكِصُونَ } أي بالنكوص والتباعد من سماع الآيات أو على الآيات
لأنها في معنى الكتاب ، وضمن { مُسْتَكْبِرِينَ } معنى مكذبين فعُدِّي بالباء أو تكون
الباء